الفلسفة الوضعية في الجغرافيا

دراسة حول تطور واستخدام الفلسفة الوضعية في الجغرافيا البشرية

د. لآخيمي جوجوي

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

فلسفة الجغرافيا هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يتناول القضايا المعرفية والميتافيزيقية والقيمية في الجغرافيا ، والمنهجية الجغرافية عمومًا ، وقضايا ذات صلة أوسع نطاقًا مثل إدراك وتمثيل المكان والزمان . على مر تاريخ الفلسفة ، جادل العديد من المفكرين بأن بعض المفاهيم الفلسفية الأساسية عالمية ، ويستخدمها جميع العقلاء . غالبًا ما شكك المؤرخون وعلماء الأنثروبولوجيا في هذه الادعاءات . في الأونة الأخيرة ، بدأ علماء النفس الثقافي والفلاسفة التجريبيون في استكشاف ما إذا كانت المفاهيم الفلسفية الأساسية مشتركة بين الثقافات . كانت نتائج هذه الدراسات مثيرة للاهتمام ومثيرة ، على الرغم من أنها بعيدة كل البعد عن كونها قاطعة .

الوضعية هي إحدى وجهات النظر الفلسفية "الخفية" غير المعترف بها ، والتي تُوجّه أعمال العديد من الجغرافيين . وتظل خفية بمعنى أن أولئك الذين يلتزمون بالعديد من مبادئها المركزية نادرًا ما يصفون أنفسهم بالوضعيين . وبينما يحمل الكثيرون لواء فلسفتهم المختارة بجرأة ، نادرًا ما يُرى أو يُسمع اسم الوضعية في أعمال الجغرافيين الذين يُوافقون على مبادئها الأساسية . حتى خمسينيات القرن العشرين ، كانت الجغرافيا ، كتنحصص ، وصفية في جوهرها ، حيث تدرس الأنماط والعمليات ، غالبًا على أساس إقليمي ، لمحاولة فهم أماكن معينة .

منذ أوائل الخمسينيات ، بدأ عدد من الجغرافيين في القول بأن البحث الجغرافي بحاجة إلى أن يصبح أكثر علمية في منهجه ، باحثًا عن القوانين الأساسية التي تفسر الأنماط والعمليات المكانية . على سبيل المثال ، جادل فريدريك شايفر في ورقة بحثية ، غالبًا ما يُستشهد بها كونها المحفز الرئيسي لاعتماد المنهج العلمي في الجغرافيا البشرية ، بأنه "يجب فهم الجغرافيا على أنها العلم المعنى بصياغة القوانين التي تحكم التوزيع المكاني لخصائص معينة على سطح الأرض" . في الواقع ، استند شايفر إلى حجج الوضعية المنطقية ليؤكد أن الجغرافيا يجب أن تسعى إلى تحديد القوانين ، متحدية ادعاءات الجغرافيين الاستثنائية ، مثل هارتشورن ، بأن الجغرافيا ومنهجها فريدان من نوعهما مقارنة بالعلوم الاجتماعية الأخرى . بعبارة أخرى ، يجب أن تتحول الجغرافيا من تخصص إيديوجرافي (جمع الحقائق) يركز على المناطق والأماكن إلى علم قانوني (إنتاج القوانين) يركز على الترتيب المكاني.

أهداف الدراسة

الأهداف الرئيسية في هذه الورقة هي:

التعرف على فلسفة الجغرافيا ، دراسة حول تطور الوضعية ، فهم استخدام الوضعية في الجغرافيا البشرية . الهدف الرئيسي من هذه الورقة هو دراسة وتحليل العلاقة بين الفلسفة والجغرافيا . قبل الشروع

في التحليل ، يجب جمع الكثير من المعارف . في هذا السياق ، تم الاطلاع على كتب ومجلات ودوريات مختلفة جُمعت من مصادر مختلفة للاطلاع على الملخص .

المناقشة

وُصفت **الوضعية** بأنها نظام فلسفي لا يعترف إلا بما يمكن التحقق منه علمياً أو ما يمكن إثباته منطقياً أو رياضياً ، وبالتالي يرفض الفيزياء الفلكية . تتضمن المناهج الوضعية صياغة تعميمات تجريبية ، وعبارات ذات طابع قانوني تتعلق بالظواهر. يمكن إدراكها تجريبياً . وبالتالي ، تُعد هذه المناهج أساسية لما يُعرف على نطاق واسع بالمنهج العلمي ، وهي جوهر منهجية وفلسفة العلوم الطبيعية ، والفيزياء ، والجغرافيا الشاملة . الوضعية نظام فلسفي متجذر بعمق في العلوم والرياضيات . يقوم على فكرة أن كل ما هو موجود يمكن التحقق منه من خلال التجارب والملاحظة والبرهان الرياضي ، كل شيء آخر غير موجود . بالإضافة إلى ذلك ، يعتقد الوضعيون عادةً أن التقدم العلمي سيقضي على المشاكل التي تواجه البشرية ، أو على الأقل سيقفل منها بشكل حاد .

الوضعيون غالباً ما يكونون واقعيين أقوياء - أي أنهم يعتقدون أن ما نختبره كواقع موجود بالفعل في العالم الخارجي . بعبارة أخرى ، يؤمنون بالحقيقة الموضوعية . كما يميلون إلى إنكار تأثير أمور مثل التحيزات النظرية والثقافية التي تعيق العلم . تُقسّم الوضعية جميع العبارات إلى ثلاث فئات : صادقة ، كاذبة ، وعديمة المعنى (لا صادقة ولا كاذبة) . العبارة عديمة المعنى هي تلك التي ليست واضحة بما يكفي لاختبارها بالوسائل الوضعية . على سبيل المثال ، "اللون الأخضر ينام غاضباً..." عبارة عديمة المعنى . لا توجد طريقة لاختبار ما إذا كانت صحيحة أم لا ، مما يعني أنها ليست صحيحة أو خاطئة ، إنها مجرد هراء .

هذا مثال متطرف بالطبع ، لكن العديد من الجمل الأخرى تندرج ضمن هذه الفئة عندما لا تكون مصطلحاتها محددة بوضوح . إذا كان للعبارة معنى ، فيجب أن تكون إما صحيحة أو خاطئة . لكن هذا لا يعني بالضرورة أننا نعرف أيهما هي . على سبيل المثال ، "يوجد بالضبط 23.262 مليار قطة منزلية في العالم" لها معنى محدد ، لكن لا أحد يستطيع الجزم بصحة ذلك . سيكون من المستحيل إحصاء جميع القطط المنزلية واحدة تلو الأخرى ، لذا لا يمكن لأحد التحقق من صحة هذه العبارة . من حيث المبدأ، يمكن التحقق منها من خلال الملاحظة العلمية - التي تفتقر ببساطة إلى الوسائل الفعلية لإجراء البحث .

كان الشاغل الرئيسي للمناصرين الأوائل للجغرافيا كعلم مكاني هو أن البحث الجغرافي حتى تلك النقطة كان غير منهجي إلى حد كبير وساذجاً من الناحية التحليلية . كان الجغرافيون يطورون حسابات تجريبية للعالم من خلال تجميع الحقائق كدليل على النظريات العامة . تكمن مشكلة هذه المساعي التجريبية في أنها لم تميز بين الارتباطات العرضية والارتباطات العرضية أو الزائفة (غير السببية). على سبيل المثال ، أشارت الحسابات الحتمية البيئية إلى أن الظروف البيئية أثرت صراحةً على المجتمع بطريقة عرضية . علاوة على ذلك ، ارتكبت هذه الحسابات مغالطات بيئية - أي نسب ملاحظات إجمالية إلى جميع الحالات داخل منطقة ما . ومع ذلك ، فإن مجرد ملاحظة شبيئين في المكان نفسه وفي نفس الوقت لا يعني أن أحدهما تسبب في الآخر أو أنه ينطبق عالمياً . يجب اختبارها علمياً . في الواقع ، يُقر معظم الناس الآن بأن درجة الحرارة المحيطة قد تؤثر على السلوك البشري ، لكنها لا تُحدده ، ولها تأثير ضئيل أو معدوم على مستويات التنمية . بالنسبة لجغرافيين مثل شايفر، الجغرافيا لن تكتسب التخصصات فائدة حقيقية ، في ظلّ ارتباطها بالمجال الأكاديمي ، إلا إذا أصبحت أكثر علمية . ستوفر المنهجية العلمية صحةً ومصداقيةً للدراسات الجيوفيزيائية، وستوفر لغةً مشتركةً لتوحيد الجغرافيا البشرية والطبيعية . شكّل إدخال المنهج العلمي في الجغرافيا بداية

عصر الوضعية المنطقية في هذا المجال . ولأن المنهج العلمي يقوم على صياغة واختبار الفرضيات ، فقد بشر بالثورة الكمية في الجغرافيا .

استُخدم الإحصاء والرياضيات على نطاق واسع لاختبار الفرضيات وبناء النماذج على التوالي . وأصبح استخدام المصطلحات العلمية ، مثل القانون والنموذج والنظرية والفرضية ، شائعاً ، واستُخدم على نطاق واسع . وقد أحدث هذا التطور تغييرات كبيرة في التوجه التعريفي والمنهجي والفلسفي للبحث والتعليم الجغرافي . من الناحية التعريفية ، تحول التركيز من الدراسة الإقليمية إلى دراسة الأنماط المكانية والروابط والتفاعلات . منهجياً ، بدأ المزيد من الجغرافيين في استخدام المنهج العلمي كوسيلة للبحث في التحليل المكاني . فلسفياً ، كان التركيز على المنهج العلمي وبناء النماذج يعني التركيز على شكل أكثر استنتاجية من البحث ، وقد عبّرت الفلسفة الوضعية بدقة عن تأثيرها على الجغرافيا عندما ذكرت أنها نقلت "الجغرافيا كموضوع من اهتمامها السابق بوصف الأماكن الفريدة إلى محاولات لكشف القوانين المكانية العالمية التي تحكم آلية عمل العالم".

منذ أن أصبحت صياغة واختبار الفرضيات ، بالإضافة إلى تطوير قوانين ونظريات التنظيم المكاني ، أمراً محورياً ، عُرِفَت الجغرافيا بأنها علم مكاني ، و"لم تعد تكتفي بمجرد الوصف ، بل كعلم مكاني ، يجب أن تكون قادرة على صياغة قوانين تنبؤية للسلوك المكاني ، بالإضافة إلى كشف القواعد التي تحكم الانتظامات المكانية الملحوظة". ومع ذلك ، يُجادل ليز بأن الجغرافيا ليست علمًا صارمًا ، بل هي علمٌ يقع بين العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وقد استفادت من موقعها في تقاطعها ، ومن أهم جوانبها مكوناتها الكمي . وقد أدى إدخال الفلسفة الوضعية واعتمادها لاحقاً إلى تحسينات كبيرة في البحث الجغرافي والبحث العلمي . رفعت الدقة والتركيز الإضافيان هذا التخصص إلى مستوى أكثر احتراماً . فقد استُوردت نماذج ونظريات عديدة من تخصصات أخرى ، مثل الاقتصاد والفيزياء وعلم الاجتماع وعلم النفس ، وغيرها ، وعُدلت لتوضيح ودعم مختلف مساعي التحليلات المكانية . على سبيل المثال ، لعب هذا التخصص دوراً هاماً في التحليل الجغرافي المكاني من خلال استخدام تقنيات نظم المعلومات الجغرافية ، ومؤخرًا في ظهور البيانات الضخمة - البيانات الضخمة واسعة النطاق - التي يُطلق عليها البعض النموذج الرابع ، بالإضافة إلى تحليل الشبكات المعقدة .

وكما هو متوقع ، في مرحلة ما ، انطلقت موجة من هذا التوجه ، حيث أصبح القياس الكمي تدريجياً غاية في حد ذاته بدلاً من أن يكون وسيلة لتحقيق غاية . وقد بالغ بعض المؤيدين في التعبير عن نتائج الأبحاث بتعابير رياضية وإحصائية ، مما أدى إلى تهميش أعمالهم التي بدت... بسبب توافر البيانات ، وبالتالي اختبار الفرضيات التي كانت ضعيفة الارتباط بأي نظرية أو نموذج واضح المعالم . ولأسف ، ما يزال هذا الأمر منتشرًا حتى اليوم ، لا سيما بين الجغرافيين الشباب الناشئين . تتبع معظم التحديات التي تواجه التطبيق الجغرافي للمنهج العلمي من حقيقتين مترابطتين : "الجغرافيا ككل تتعامل مع أنظمة مفتوحة متعددة المتغيرات" . وقد أدرك ذلك عندما أشار إلى أن الجغرافيا تتعامل مع أحداث فريدة ، وأن التعميم في شكل قوانين ونظريات محكوم عليه بالفشل . كما أن الحجم الهائل للأنظمة الجغرافية ، مثل الغلاف الجوي وأحواض الأنهار ، يجعل التجارب المعملية صعبة ، لأن تصغير النظام يغير خصائصه بطرق غير معروفة .

في الجغرافيا البشرية ، بحلول سبعينيات القرن الماضي ، بدأت الانتقادات الموجهة للمنهج الوضعي بالتدفق ، لا سيما المناهج العلمية "الموضوعية" التي تصور البشر كفاعلين عقلانيين . بل بدأ الجغرافيون بتبني المناهج الإنسانية ، وجادلوا بأن السلوك البشري في الواقع ذاتي ، ومعقد ، وفوضوي ، وغير عقلائي ، وملتبس . وهكذا ، بدأ الجغرافيون في الاعتماد على مناهج تُمكنهم من تفسير المعاني والعواطف والنوايا والقيم التي تُشكل عالمنا المُسلم به . في الوقت نفسه ، ركّز الجغرافيون الماركسيون على الطبيعة اللاسياسية

للوضعية ، وانتقدت النسويات ، والرافضون لما بعد الحداثة ، الوضعية والماركسية لفشلهما في إدراك ذاتيات الناس المتعددة . ولخصوا تأثير الوضعية ، وإن كان ذلك بقسوة ، كونهم ميزوا الجغرافيين عن "إمكانيات البحث العلمي النشط الإبداعي والدقيق والمنخرط نقدياً" ، وخلصوا إلى أن "سلالة الوضعية تُظهر أن الحركة لم تكن يوماً متماسكة فلسفياً ، أو محافظة سياسياً ، أو برنامجاً بحثياً محددًا جيدًا كما هو موضح في تاريخنا الفكري" ، وبالتالي لم تكن أبدًا وضعيين حقيقيين .

وتُهمَل المجالات الجديدة ذات الإمكانيات الواعدة في وابل الانتقادات ، ومن بينها الحلول الجغرافية المكانية والبيانات الضخمة . وقد تعرضت هذه المجالات للانتقاد . كونها تُعزز عدم المساواة ، وفي بعض الحالات تُقوّض العدالة البيئية والاجتماعية والاقتصادية . ومع ذلك ، هذه الانتقادات في الواقع بناءة ، وقد عززت البحث الجغرافي من خلال توسعه وتحسينه وصفله بمرور الوقت ، بالإضافة إلى الدور التكميلي الذي يلعبه الآن للمناهج غير الوضعية ، مما يوفر منصة أكثر متانة لإجراء التحقيقات الجغرافية.

الخلاصة

كما جادل العديد من الباحثين ، على الرغم من عيوب الوضعية ، سيتم الاحتفاظ بها في كل من الجغرافيا البشرية والطبيعية لأنها ؛ أولاً، لديها القدرة على تقديم نظريات متماسكة وقابلة للاختبار حول طبيعة الظواهر الجغرافية ؛ ثانياً، إنها في كثير من النواحي امتداد مُقنن ومتربط منطقيًا لهياكل الفكر . تطورت في الحياة اليومية ، بما في ذلك الرغبة في تصحيح النظريات أو الفرضيات في ضوء الخبرة ؛ وأخيراً، وجزئيًا كنتيجة للنقطة الأولى ، فإن المعرفة العلمية مطلوبة لإدارة النظم الاجتماعية والطبيعية ، وإذا فشلت الجغرافيا في توفير هذه المعرفة ، فستتطور بعض التخصصات الأخرى لسد الثغرات.

في الجغرافيا البشرية ، كان لمجموعة من الفلاسفة المعاصرين تأثير كبير في الجغرافيا . وقد تم تخصيص العديد منهم تحت عنوان النظرية الاجتماعية المكانية ، ولكن يمكن أيضًا ، وربما بشكل أفضل ، فهم رؤاهم على أنها فلسفية . وقد اهتم هذا بتحدي النطاق التخصصي لماهية الجغرافيا ، والثنائيات التي تميل الجغرافيا التقليدية إلى التفكير بها ، والتركيز على العناصر العاطفية والثقافية وغير المنهجية للتفاعل بين البشر والعالم . إن قلب العلاقة في الاتجاه الآخر - أي طرح مسألة جغرافيا الفلسفة - هو إثارة مجموعة واسعة من القضايا . في حين أن بعض المناهج من هذا النوع قد تبدو وكأنها حتمية جغرافية ، وتحديد أنواع معينة من الأفكار داخل مكان أو نقاش معين ، إلا أنه يمكن إنجاز عمل أكثر إنتاجية .